

## العبرة من مدرسة عاشوراء



بسم الله الرحمن الرحيم

إنني أتقدم بالشكر لعلماء آذربیجان المحترمين وعلماء طهران والأخوة علماء السنة، سائلاً الله تعالى أن يمن عليهم جميعاً بالسلامة والسعادة.

إن شعبنا صحي في سبيل الله بدءاً من الطفل ذي الستة أشهر وانتهاء بالشيخ العجوز أبو بن الثمانين، وهو بذلك يقتدي برجل التاريخ العظيم الإمام سيد الشهداء - سلام الله عليه -.

لقد علّمنا سيد الشهداء ما ينبغي فعله في مواجهة الظلم والجور والحكومات الجائرة. فمنذ البداية كان - سلام الله عليه - يعلم طبيعة الطريق الذي اختاره وانه ينبغي له التضحية بجميع أهل بيته وأصحابه من أجل الإسلام. وكان يعلم نهايته أيضاً. ولو لم تكن هذه النهاية، لو لم تكون نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) لتسنى ليزيد وأتباعه خداع الناس وتعريفهم بالإسلام بشكل مقلوب. إذ أنهم لم يكونوا يؤمنون بالإسلام منذ البداية وكانوا يضمرون الحقد على أئمة المسلمين ويحسدونهم.

إن تضحيات سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه، هزمت الحكم الأموي، إذ لم يمض وقت طويل حتى تنبه الناس إلى عظمة الفاجعة والمصيبة التي ارتكبت بحق آل بيت الرسول، وقد أدى ذلك إلى قلب الأوضاع ضدبني أمية. كما أوضحت واقعة كربلاء للإنسانية على مرّ التاريخ، طريق العزة والكرامة، وعلّمت الاحرار كيف تنتصر قوة الإيمان على السيف والأعداء مهما كان عددهم وعدتهم.

## ثبات الثورة في ظل الألطاف الإلهية

لن ينسى التاريخ نهضة إيران وثورتها هذه .. لن ينسى التضحيات التي تحلى بها فئات الشعب الإيراني المسلم. وسوف يخلد التاريخ الصور الرائعة لوحدة هذا الشعب، لاسيما الأخوة من السنّة والشيعة. وبفضل هذه الأخوة الإسلامية لن تهزم الثورة بمشيئة الله تبارك وتعالى، مهما بلغ عداء القوى الكبرى والمعسكرين الشرقي والغربي لثورتنا، ومهما تماطلت وسائل الإعلام العالمية في معاداة الثورة وتشويه صورتها. وستتضح الحقيقة بالتدريج بإذن الله تعالى ... فعندما قتل الإمام الحسين مظلوماً، كان البعض يسميه خارجياً وينعته بالخروج على حكومة زمانه الحقة. لكن نور الله يسطع وسيستطيع حتى يضيء العالم بأسره.

## العبرة من مدرسة عاشوراء

ما هو واجبنا على اعتاب شهر محرم الحرام؟ وما هي رسالة العلماء الإعلام والخطباء والوعاظ الموقرين في هذا الشهر؟ وما هي مسؤولية فئات الشعب الأخرى؟

لقد علّمنا سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه واجبنا ومسؤولياتنا: التضحية في الميدان، والإعلام خارج الميدان. فيقدر قيمة وعظمة تضحية سيد الشهداء عند الله تبارك وتعالى ودورها في توعية الأمة، تركت خطب الإمام السجاد والسيدة زينب تأثيرها في نفوس الناس. إذ علّمنا الإمام الحسين وأهل بيته بأن لا تخشى النساء والرجال مواجهة الطغاة وضرورة التصدي للحكومة المستبدة. إن السيدة زينب - سلام الله عليها - واجهت يزيد وبخته بشكل بحيث لم يسمع بنو أمية مثل هذه التوبیخ طوال حياتهم. كما إن ما تحدثت به في الطريق إلى الكوفة وفي الشام، وخطبة الإمام السجاد (ع) في مسجد الكوفة، أوضحا للناس

بأن القضية ليست قضية خواج وخروج على سلطان زمانه خليفة رسول الله، مثلما حاول يزيد تصوير نهضة الإمام الحسين (ع)، حيث كشف الإمام السجاد عن دوافع موقف الإمام الحسين وكذلك فعلت الحوراء زينب.

وإيران اليوم تعيش الحالة ذاتها. فمنظمة العفو الدولية، التي ينبغي تسميتها (منظمة التزوير الدولية)، (منظمة الكذب الدولية)، وفي بيان أصدرته، كررت التهم ذاتها التي كانت في صدر الإسلام، اتهمت الإسلام ورسول الله وأهل بيته وأتباعه، إضافة إلى اتهام بلدنا. إن منظمة العفو الدولية - حسبما اصطلح عليها - تقوم اليوم بإطلاق الأكاذيب ذاتها التي كان يرددها أتباع يزيد. إن الإنسان ليخجل أن يعيش في عصر هذه هي وسائل إعلامه، وهذه هي منظماته، سواء منظمة العفو الدولية أو المنظمات الأخرى. عار على الإنسان أن يدعي أنه يعيش في عصر أصبحت المبادئ والقيم فيه ضحية القوة، ضحية المنافع المادية، ونحن اليوم نواجه مثل هذه الأوضاع، يقتلون الشيخ العجوز الزاهد العابد الملائم، ويعرف المناقون الفسقة بأنهم هم الذين قتلواه لأنه كان يتدخل مباشرة في أعمال التعذيب والقتل. أية وقاحة هذه التي يتسم بها هؤلاء؟ أي نوع من التربية تربى عليها هؤلاء؟ فمن جهة يكيلون كل هذه الاتهامات للجمهورية الإسلامية، ومن جهة أخرى يرتكبون أمثل هذه الجرائم بحق أشخاص يحيون الليل بمناجاة الله في خلوتهم، والنهار في الجهاد.

لقد أوضح لنا سيد الشهداء واجينا: إن لا تخشى قلة العدد في ميدان الحرب، وإن لا نهاي الشهادة. فكلما سمي فكر الإنسان وهدفه، زادت معاناته بالمقدار نفسه ... إننا لا نستطيع أن نستوعب حجم هذا الانتصار. غير أن العالم سيدرك فيما بعد حجم الانتصار الذي حققه الشعب الإيراني. وعلى فدر حجم هذا الانتصار وهذا الجهاد، يجب أن نتوقع حجم المصائب والمعاناة التي ستواجهها الثورة .. علينا أن لا نتوقع أن تكف القوى الكبرى - التي فقدت مصالحها في هذا البلد وإن شاء الله ستفقدتها في المنطقة - عن إيدائنا وخلق المتابع لنا.

علينا أن لا نتوقع - بعد هذا الانتصار العظيم - إن تكون في مأمن من مؤامرات الأعداء. ولهذا، يجب على الجميع الاضطلاع بمسؤولياتهم كما في السباق، لاسيما علماء الدين والخطباء والوعاظ وأئمة الجمعة والجماعة وجميع الذين يتصل عملهم بأبناء الشعب. وفي مقدمة مسؤولياتهم توعية أبناء الشعب بدلوافع وأهداف ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين، وتضحيته بأبنائه وأصحابه، والمصائب التي جرت على أهل بيته بعد استشهاده حتى أنت هذه الثورة أُكلها.

يجب على كافة الوعاظ وخطباء المنبر الحسيني الالتفات إلى هذا المعنى وهو أنه لو لم تكن ثورة سيد الشهداء - سلام الله عليه - لما كان باستطاعتنا اليوم تحقيق هذا النصر. وإن وحدة الكلمة التي كانت وراء انتصارنا، هي وليدة مجالس العزاء والمآتم و المجالس تبليغ الإسلام ونشره .. وإن سيد المظلومين هيأ لأبناء الشعب وسيلة تحقق لهم وحدة الصف وتكافهم دون أدنى جهد. لقد جعل الإسلام من المساجد خنادق، حيث أصبحت مكاناً للتجمعات ووسيلة لتحقيق أهداف الإسلام والنهوض بمسؤولياته، لاسيما ثورة الإمام الحسين، حيث علمانا كيفية التصرف في ساحة المصراع وخارج ميدان المعركة. وكيف يتسلّى للمناضلين والمُقاتلين الدفاع عن أهدافهم وتطلعاتهم وكيف ينبغي أن يتصرف أولئك المتواجدون خلف جبهات القتال .. علمانا الإمام الحسين كيفية خوض المصراع بفئة قليلة وكيفية التصدي للحكومة المستبدة التي تفرض هيمنتها على كل شيء .. كل ذلك علمانا إياه سيد الشهداء وأهل بيته العظام.

كما علّمنا الإمام السجاد- نجل الإمام الحسين- كيف ينبغي التصرف بعد تلك الواقعة؟ وهل يجب الاستسلام؟ أم تقليل حجم الجهاد؟ أم العمل مثلما فعلت الحوراء زينب- سلام الله عليها- إثر تلك المصيبة العظمى التي تتضاءل دونها المماثل، حيث صمدت وتحدى الكفر والزنادقة، وخطبت كلما سُنحت لها الفرصة وأوضحت ما يجب إيضاحه. كما اضطاع الإمام السجاد علي بن الحسين- سلام الله عليه- بمسؤولية التبليغ بما يبعث على الفخر رغم المرض الذي أفعده.

## الحفاظ على الإسلام مسؤولية كبرى

إننا نواجه اليوم حماماً هائلاً من الإعلام العالمي المعادي. نواجه كل هذا الإعلام المفروء وما تبته الإذاعات وما يردده الخطباء والمتحدثون وما تقوم به المنظمات والمحافل الدولية .. إننا نقف في مواجهة كل ذلك لأننا قضينا على مصالحهم وقطعنَا أياديهم عن بلادنا، ولا بد من موافلة نهجنا هذا للسير بالثورة قدمًا. لقد منَّ الله تعالى علينا بنعمة، ولا بد لنا من المحافظة على هذه النعمة .. لقد عدنا بإسلام الذي كاد أن يقضى عليه في عهد النظام البهلوi المنحوس، إلى واقع الحياة وتخلصنا من أعدائه، وعلينا اليوم المحافظة على هذه النعمة .. إن واجب الجميع يتمثل في الجهاد شكراً لهذه النعمة التي منَّ الله تعالى بها علينا وصوناً لها .. ونحمد الله أن جنود الإسلام في جبهات القتال، بدءاً من قوات الجيش وحرس الثورة والتعبئة والعشائر وانتهاءً بمن يساندونهم ويدعمونهم،

يؤدون واجبهم على النحو الأمثل ويحررون العدو على التقهقر يوماً بعد آخر وساعة بعد ساعة.

وخلف الجبهات، حيث يحرص أبناء الشعب على تقديم مختلف أنواع المساعدة للمقاتلين، ينبغي للخطباء والوعاظ الجهاد أيضاً وجهادهم يتمثل في التبليغ، في توعية الناس بحجم الانتصار الذي تحقق، وكيف أخذت الأهداف التي ثاروا من أجلها وضحوا في سبيلها أخذت تجد طريقها إلى أرض الواقع، وكذلك توعيتهم بكيفية المحافظة على مكتسبات الثورة.

وكما تحقق النصر بفضل توأجده الجميع في الساحة وحضورهم الفاعل في جبهات القتال وخلف الجبهات، فإن الحفاظ على هذه النعمة الإلهية العظيمة يتطلب أن يكون شبابنا على أهبة الاستعداد للدفاع عن الإسلام كلما طلب الأمر ذلك. وقد صحي الأنبياء العظام من أجل الإسلام لاسيما النبي الأكرم وأهل بيته الكرام وأصحابه المنتجبين، وتحملوا الصعاب من أجله. وأعلموا أن هذا النصر الذي تحقق لكم إثر هذه الثورة إذا ما تضاءل - لا سمح الله - نتيجة للضعف والوهن الذي قد ينتاب إعلامكم وتتواءجد أبناء شعبنا في الساحة، فلن يستطيع الإسلام الله

أن ينهض بعد ذلك على مدى قرون عديدة.

المسؤولية جسيمة وعليها جميعاً تحمل أعباء هذه المسؤولية، وإن غاية ما ينتظرونها هو الشهادة ولقاء الله والالتحاق بسيد الشهداء وأمثاله، وهو غاية آمال عشاق الحق تعالى ... ولعلكم سمعتم ما يروى عمما يجري في جبهات القتال، حيث يقضي شبابنا الليل في الذكر والدعاء والتهجد والصلوة والمصيام، وفي النهار يندفعون بكل حماس لمقاتلة العدو ودحره. إنها نعمة من الله تبارك وتعالى بها على هذا الشعب، فحافظوا على هذه النعمة.

الشهادة، الضمان لانتصار الإسلام الله

إنكم أيها السادة علماء الدين، وجميع علماء الدين في أنحاء البلاد، مكلّفون بالحفاظ على هذه النعمة الإلهية وأداء الشكر لها، وإن شكرها يتمثل في التبليغ .. إعلموا على توعية الناس بأهداف

سيد الشهداء ودفنه للنهاية والطريق الذي سلكه النصر الذي تحقق له وللإسلام بعد استشهاده. وليرعلم أبناء الشعب بأن تحرك الإمام الحسين كان جهاداً في طريق الإسلام. فقد كان يعلم بأنه لا يمكن مواجهة هذا الطالم بما كان لديه من سلطان، بهذا العدد القليل الذي لم يكن يتتجاوز مائة نفر، طبقاً للحسابات المادية. ولكنه كان يعلم جيداً أن الاستشهاد في سبيل الله هو الذي يحقق النصر للإسلام ويحدد حياته.

إن شهادة شيوخ المحراب العظام، بدءاً بالشهيد مدني[2] (رحمه الله) وانتهاء بشهيدنا الأخير، هي الضمان لانتصار الإسلام. إن شهادة هؤلاء العظام هي التي فصحت أعداءكم أمام شعوب العالم مما كان تأييد العالم لهم. إن منظمة العفو الدولية ذاتها، التي تختلف صفة من الأكاذيب، تمتلك الدليل القاطع وهو اعتراف المنافقين بجريمتهم. إذ أن هذه الجرائم مذكورة في منشورات المنافقين. إنهم أعداء الإسلام، أعداء الشعب، أعداء المسلمين، وقد جنّ حنونهم لأنهم فشلوا في تحقيق أهدافهم وكانت لهم سلطة على هذا البلد أسوأ من سلطة محمد رضا (بهلوى).

عليكم الاهتمام بالتبلیغ أيها السادة! .. إنه شهر محرم. احرصوا على بقاء محرم حباً .. إن كل ما لدينا هو من محرم ومن هذه المآتم. مجالس تبليغنا من محرم أيضاً، من مقتل سيد الشهداء واستشهاده. علينا أن نصل إلى أعماق هذه الشهادة وتأثيرها، ونبرهن للعالم بأن تأثيرها لا زال قائماً حتى يومنا هذا. فلو لم تكن مجالس الوعظ والخطابة والعزاء والمآتم وهذه التجمعات، لما انتصرت بلادنا. لقد انتفض الجميع تحت لواء الإمام الحسين - سلام الله عليه - واليوم أيضاً عندما تشاهدون جبهات القتال ترون أن الجميع يبتلون الحماس في جبهات القتال بمحبي من حب الحسين.

ولكن ينبغي للوعاظ والمبلغين الأعزاء والعلماء الأعلام والخطباء المعتمدين، انتهاز فرصة هذه التجمعات التي تتشكل في محرم وصفر وفي كل الأوقات، للخوض في قضايا الساحة السياسية والاجتماعية وتوعية الناس بواجباتهم ومسؤولياتهم في مثل هذه المرحلة التي يصطف فيها كل الأعداء للنيل منا .. فلا بد من توعية الناس بأننا لا زلنا في وسط الطريق وعلىنا المضي قدماً حتى النهاية إن شاء الله تعالى. فإذا ما وصلنا المسيرة على هذا النحو وبمشاركة أبناء الشعب، فإننا سنحقق كل أهدافنا. ولكن علينا ألا نهن ولا نضعف.

لقد أعلن شعبنا ومنذ انطلاقة ثورته، للعالم بأنه يتطلع لإقامة الجمهورية الإسلامية، ويسعى إلى تحقيق استقلاله الكامل في ضوء مبدأ "اللاشرقية واللاغربيّة". لقد أعلنـا للعالم أجمع بأننا لسنا تحت وصاية أميركا ولا روسيا ولا أية قوة أخرى. إننا نعتمد على أنفسنا ونستظل بظلال إرادة الله تبارك وتعالى ولواء التوحيد، الذي هو لواء الإمام الحسين (ع).

عندما أعلنتم هذا للعالم وعملتم على ترجمته بكل صدق وإخلاص، اضطرب العالم وراح يعاديكم. فلا بد من الالتفات إلى هذا المعنى منذ البداية وهو أننا على أهبة الاستعداد للشهادة مثلما نهض سيد الشهداء في مواجهة كل تلك الحشود والعدة والعدد حتى استشهاده. وإنكم ترون الآن وفي ذات الوقت الذي حرمونا من ثلاثة من كبار أئمة الجمعة، أن أئمة الجمعة في مختلف أنحاء البلاد يعلنون بكل صدق بأنهم سيواصلون منها مهم حتي الشهادة.

## انتشار أمواج الثورة الإيرانية في العالم

لو كانت نهضتكم وثورتكم كغيرها من الثورات تستهدف الأمور الدنيوية، كان تكونوا قد ثرتم من أجل خفض الأسعار وتحقيق الرخاء وإشاعة مجالس اللعب واللهو، لحق للبعض أن يتذمر ويشكو وبالطبع فإن عامة الناس لا يشكون بل الشاكون هم الذين حرموا من مجالس اللهو واللعب. غير أن أبناء الشعب ثاروا من أجل الله، ولم ينشدوا غير الإسلام والجمهورية الإسلامية. ومثل هذا الشعب لا يكل ولا يمل. إن أمواج ثورتكم انتشرت في العالم. إن أصداء انتصاراتكم تلقي بظلالها في كل مكان من العالم. فالإيراني الذي كان يعرفه العالم في السابق لم يكن سوى عبد من عبيد أميركا. لكن المنصفين في العالم باتوااليوم على قناعة بأن الجمهورية الإسلامية منتصرة وتحقق المزيد من الانتصارات كل يوم.

## عدم اليأس من رحمة الله

أيها الإخوة الأعزاء لا تيأسوا من روح الله، فأنتم المنتصرون ورؤوسكم مرفوعة في العالم. إنكم شعب يؤمن بالنضال. فلو كان شعبنا كأحد الشعوب العاجزة لاختار العزلة والانزواء، وعندها لا تعاديه أميركا ولا الاتحاد السوفييتي ولا القوى الأخرى، مثلما كان عليه الحال في العهد البائد، حيث أنها موال الناس

كالاغنام وتكالب أولئك على افتراس هذه الأغنام، هذا يأخذ رأساً، وذلك يأخذ يداً.. أجل، حاجات البطن كانت متوفرة للبعض إلى حد ما، ولكن ما هو حال المحروميين؟ إن الغالبية من أبناء شعبنا كانت محرومة، ولم تقدم لها أية خدمة تذكر. غير أنه خلال هذه الفترة القصيرة من عمر الجمهورية الإسلامية أنجزت من الأعمال لهؤلاء المحروميين ما لم ينجز طوال عمر النظام البائد المنحوس. علماً أن ثورتكم كانت من أجل الإسلام، وما كنتم تطالبون به هو الجمهورية الإسلامية. إن ما كنتم تهدفون إليه هو (اللاشرقية واللاغربية) وقد تحقق لكم ذلك، فاحرصوا عليه. مما زال البعض يعتقد بضرورة أن تتجه إلى هذا المعسكر أو ذاك، غير أن شعبنا لم يعد يقبل مثل هذا التفكير، لأنه آمن منذ البداية بضرورة تحقيق الجمهورية الإسلامية بعيداً عن الشرق أو الغرب. فيبعد كل هذه التضحيات وفقدان الشباب والأعزاء، لا يمكن أن يتراجع الشعب قيد أنملة، وإننا صامدون حتى النهاية. والشعب صامد وهو يمضي إلى الأمام بقوة والحمد لله.

لقد تعرّف العالم على قدراتكم فلا تغفلوا عنها. إن ظهور كل هؤلاء الأعداء إنما هو نتيجة لقوتكم التي لفتت أنظار العالم وبقي عاجزاً أمامها لا يدري ماذا يفعل. لقد أحبيتم الإسلام وعليكم موصلة نهجكم هذا وهي مسؤولية تقع على عاتق الجميع ابتداءً من الرجل الذي يحتل الموقع الأول بين رجال الدين وانتهاءً باللهميد المبتدئ المنشغل بالدراسة. فالخطباء والوعاظ تقع على عاتقهم مسؤولية توعية الناس من خلال خطبهم وأحاديثهم. وعلماء الدين وأئمة الجمعة والجماعة يعملون على توجيه الناس وإرشادهم للحفظ على خنادقهم. وإن الناس - ولله الحمد - متواجدون في الساحة وينبغي أن نشكرهم. إننا مدینون لتضحيات هذه الجماهير العظيمة التي تضحى بكل شيء ولا تطلب بشيء، بدءاً من تلك المرأة العجوز التي أهدت ذخيرة عمرها من أجل الإسلام، وانتهاءً بأولئك الصبية الذين يحطمون حصاراتهم ويأتون بنقودها لإهدائهما من أجل الإسلام. إنني عاجز عن وصف هذا الشعب وتكريمه، وأوكل ذلك إلى الله تبارك وتعالى ليشملهم بعناية خاصة. حفظكم الله تعالى جميعاً، ورسخ أقدامكم في هذه الخنادق، ووفقكم للحفاظ على المآتم ومواكب العزاء بشكل كامل وبما يليق بها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[1] الشهيد عطاء الله اشرفي الاصفهاني، مندوب الإمام وإمام جمعة كرمانشاه، الذي استشهد في محراب العبادة على يد أحد عناصر المناقين.

[2] الشهيد السيد أسد الله مدني، مندوب الإمام وإمام جمعة تبريز الذي استشهد في محارب العبادة على يد الملا فقيه.

المكان: طهران، جماران

المناسبة: قرب حلول شهر محرم الحرام

المصدر: صحيفة الإمام، ج ١٧، ص: ٥٠

الموضوع: أهمية نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وتأثيرها

التاريخ 25 مهر 1361 هـ / 29 ذي الحجة 1402 هـ . ق